والوجه الثاني : أن تكون جملة (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) مستعملة تمثيلا لهيئة تعلق قدرة ا تعالى لتكوين السماء والأرض لعظمة خالقهما بهيئة صدور الأمر من آمر مطاع للعبد المأذون بالحضور لعمل شاق أن يقول له : ائت لهذا العمل طوعا أو كرها لتوقع إبائه من الإقدام على ذلك العمل وهذا من دون مراعاة مشابهة أجزاء الهيئة المركبة المشبهة لأجزاء الهيئة المشبه بها فلا قول ولا مقول وإنما هو تمثيل ويكون (طوعا أو كرها) على هذا من تمتم الهيئة المشبهة .

والمقصود على كلا الاعتبارين تصوير عظمة القدرة الإلهية ونفوذها في المقدورات دقت أو جلت .

وأما قوله (قالتا أتينا طائعين) فيجوز أن يكون قول السماء والأرض مستعارا لدلالة سرعة تكونهما لشبههما بسرعة امتثال المأمور المطيع عن طواعية فإنه لا يتردد ولا يتلكأ على طريقة المكنية والتخييل من باب قول الراجز الذي لا يعرف تعيينه : .

" امتلأ الحوض وقال : قطني وهو كثير ويجوز أن يكون تمثيلا لهيئة تكون السماء والأرض عند تعلق قدرة ا تعالى بتكوينهما بهيئة المأمور بعمل تقلبه عن طواعية . وهما اعتباران متقاربان إلا أن القول والإتيان والطوع على الاعتبار الأول تكون مجازات وعلى الاعتبار الثاني تكون حقائق وإنما المجاز في التركيب على ما هو معلوم من الفرق بين المجاز المفرد والمجاز المركب في فن البيان .

وإنما جاء قوله (طائعين) بصيغة الجمع لأن لفظ السماء يشتمل على سبع سماوات كما قال تعالى إثر هذا (فقضاهن سبع سماوات) فالامتثال صادر عن جمع وأما كونه بصيغة جمع المذكر فلأن السماء والأرض ليس لهما تأنيث حقيقي .

وأما كونه بصيغة جمع العقلاء فذلك ترشيح للمكنية المتقدمة مثل قوله تعالى (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .

(فقضاهن سبع سماوات في يومين) تفريع على قوله (فقال لها وللأرض ائتيا) .

والقضاء : الإيجاد الإبداعي لأن فيه معنى الإتمام والحكم فهو يقتضي الابتكار والإسراع كقول أبي ذؤيب الهذلي : .

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السابغ تبع وضمير (فقضاهن) عائد إلى السماوات على اعتبار تأنيث لفظها وهذا تفنن .

يكون أن وجوز له بيان عطف أو (قضاهن) ضمير من حال أنه على (سماوات 0سبع وانتصب A E

مفعولا ثانيا ل (قضاهن) لتضمين (قضاهن) معنى صيرهن وهذا كقوله في سورة البقرة (فسواهن سبع سماوات) .

وكان خلق السماوات في يومين قبل أربعة الأيام التي خلقت فيها الأرض وما فيها . وقد بينا في سورة البقرة أن الأظهر أن خلق السماء كان قبل خلق الأرض وهو المناسب لقواعد علم الهيئة . وليس في هذه الآية ما يقتضي ذلك .

وإنما كانت مدة خلق السماوات السبع أقصر من مدة خلق الأرض مع أن عوالم السماوات أعظم وأكثر لأن الله خلق السماوات بكيفية أسرع فلعل خلق السماوات كان بانفصال بعضها عن بعض وتفرقع أجامها بعضها عن خروج بعض آخر منه وهو الذي قربه حكماء اليونان الأقدمون بما سموه صدور العقول مناسبة لما تركبت به من الجواهر .

وأما خلق الأرض فالأشبه أنه بطريقة التولد المبطئ لأنها تكونت من العناصر الطبيعية فكان تولد بعضها عن بعض أيضا . (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

وهذه الأيام كانت هي مبدأ الاصطلاح على ترتيب أيام الأسبوع وقد خاض المفسرون في تعيين مبدأ هذه الأيام فأما كتب اليهود ففيها أن مبدأ هذه الأيام هو الأحد وأن سادسها هو يوم الجمعة وأن يوم السبت جعله الله خلوا من الخلق ليوافق طقوس دينهم الجاعلة يوم السبت يوم راحة للناس ودوابهم اقتداء بإنهاء خلق العالمين .

وعلى هذا الاعتبار جرى العرب في تسمية الأيام ابتداء من الأحد الذي هو بمعنى أول أو واحد واسمه في العربية القديمة " أول " وذلك سرى إليهم من تعاليم اليهود أو من تعاليم أسبق كانت هي الأصل الأصيل لاصطلاح الأمتين